قاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) وأثرها في المعنى

د/ فريدة بنت محمد الغامدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة

fmaghamdi@uqu.edu.sa

(**Umm Al-Qura University**)

المقدمة:

الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض و بينهما وملء ماشئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد وآله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

إنني وأنا أكتب هذا البحث المتواضع؛ كلي أمل في أن أقدم عملاً جديداً كل الجدة، لم يسبقني أحد إليه؛ فهذا بحث أقدمه للقارئ وقد اعتمدت فيه على قاعدة ترجيحية تناولها المفسرون من خلال تفاسيرهم، ورجحوا بها أقوال المفسرين المتعددة؛ وقد عنونته بـ **"قاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) وأثرها في المعنى "**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. ارتباط الموضوع بأشرف العلوم وهو علم التفسير.
2. السبق العلمي فحسب ما وقفت عليه لم أجد دراسة عن قاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى) عند المفسرين وأثرها في معنى الآية
3. تسليط الضوء على استعمالات المفسرين لهذ القاعدة واستخدامها في الترجيح بين الأقوال ومدى عنايتهم بالقاعدة.

حدود البحث:

يتناول البحث القاعدة الترجيحية "إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى" والترجيح بها بين الأقوال التفسيرية وأثر هذه القاعدة في المعنى –نماذج –

منهج الدراسة:

المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

الدراسات السابقة:

1. هذه القاعدة من القواعد التي لم تفرد بالتصنيف، ووقد وقفت على بحث منشور للباحثة الدكتورة خلود العبدلي وقد كان بحثها بعنوان: قاعدة (التأسيس أولي من التوكيد) وتطبيقاتها في التفسير وعلوم القرآن.

حيث تناولت من حيث علوم القرآن وأما ما يخص التفسير فقد كتبته في المطلب الثاني من المبحث الرابع وهو مختصر لا يتعدى الصفحتين.

2. وهناك دراسات مؤلفة في قواعد الترجيح والتفسير بشكل شامل مثل:

- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، المؤلف: حسين بن علي بن حسين الحربي.
- فصول في أصول التفسير، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيا.

وغيرها من الدراسات الشاملة لقواعد الترجيح وقواعد التفسير.

مخطط البحث:

تحوي المقدمة على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدود البحث ومنهج الدراسة

الفصل الأول: "إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى"

المبحث الأول: تعريف القاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى)

المبحث الثاني: شرح مفردات القاعدة.

المبحث الثالث: استخدامات المفسرين لهذه القاعدة في تفسيراتهم

ويليه الفصل الثاني: صور قاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى):

ويحتوي على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الألفاظ مترادفة في الظاهر متغايرة في المعنى.

المبحث الثاني: تكرار اللفظ ظاهراً واختلاف المعنى.

المبحث الثالث: اختلاف لفظ التكرار مع اختلاف المعنى.

المبحث الرابع: المبحث الرابع: التكرار في جملتين وتغايرهما في المعنى.

المبحث الخامس: الألفاظ متوالية في الجملة ومتغايرة في المعنى.

المبحث السادس: اتفاق الكلمات معنى في الظاهر واختلافها لفظاً.

المبحث السابع: عطف جملة فعلية على جملة فعلية.

ثم الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً الفهارس وتحتوي على أهم الفهارس المساعدة.

الباحثة

الفصل الأول: "إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى"

هذه قاعدة مهمة من قواعد الترجيح والتي تتعلق بنصوص الكتاب الكريم، حيث دل عليها استقراء تفاسير العلماء وكتب أصول الفقه، وجرى العمل بها المفسرون في تفاسيرهم، فإذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله واحتمل الكلام التأسيس أو التأكيد فالذي عليه أغلب المفسرين حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه، وليعلم أن التكرار في الآية إن لم يحتمل إلا التوكيد فإنه يحمل عليه، وإن لم يحتمل إلا التأسيس فإنه يحمل عليه، ولا يجري العمل بهذه القاعدة إلا عند الاختلاف في تفسير الآية بين التأسيس والتوكيد.

ونحن في هذا البحث سنسلط الضوء على استعمالات المفسرين لهذه القاعدة والتنصيص عليها في تفاسيرهم، وترجيح الأقوال التفسيرية عملاً بهذه القاعدة الترجيحية.

المبحث الأول: تعريف القاعدة:

تعريف القاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى)

نص القاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى.

هذه القاعدة من القواعد الأصولية المتفرعة عن القاعدة الكلية "**اعمال الكلام أولى من إهماله**"، التي قررها علماء الأصول فهم متفقون على أن التأكيد على خلاف الأصل؛ لأن الأصل في وضع الكلام إنما هو إفهام السامع ما ليس عنده، فإذا دار

اللفظ بين التأسيس والتأكيد، تعين حمله على التأسيس[1]، فحمله على المعنيين أكثر فائدة من حمله على معنى واحد وكان أولى قياساً على الحمل على التأسيس، فإن اللفظ إذا دار بين أن يفيد فائدة التأسيس، وبين أن يفيد التأكيد كان الحمل على التأسيس أولى، وقياساً على الحمل على التباين[2]، فإن اللفظ إذا دار بين أن يفيد معنى لفظ آخر، وبين أن يفيد معنى غير مدلول عليه للفظ آخر، كان الحمل على الثاني أولى، والجامع زيادة الفائدة[3].

المبحث الثاني: شرح مفردات القاعدة.

معنى الكلام:

الكلام معروف، والكلام :اسم جنس يقع على القليل والكثير. والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات؛ لأنه جمع كلمة[4]، وقيل: الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة واحدة مؤلفة من جماعة حروف لها معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها.

يقال: قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته، والقرآن كلام الله، وكلم الله، وكلمات الله، وكلمة الله، وهو كيفما تصرف، متلواً، ومحفوظاً[5].

1 الكوكب الدري، الأسنوي: 430؛ البحر المحيط، بدر الزركشي:372/2؛ الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي:217/1؛ تيسير التحرير، أمير باد شاه:362/1؛ رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، الرجراجي: 480/2؛ قواعد الترجيح، حسين الحربي: 140/2.

2 التباين: الأسماء المختلفة للمعاني المختلفة، كالسماء والأرض (ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة:73/1).

3 نهاية الوصول في دراية الأصول، الصفي الهندي:850/5.

4 الصحاح:507.

5 تهذيب اللغة، الأزهري:147/15؛ مجمل اللغة، ابن فارس: 769.

اصطلاحاً: كل لفظة دلت على معنى مفرد بالوضع فهي كلمة، وبعبارة أخرى :كل منطوق أفاد شيئا بالوضع فهو كلمة، وجمعها كلمات وكلم[1]

1. **معنى التأسيس: لغة:** أسس: الأس والأسس والأساس: كل مبتدأ شيء .والأس والأساس :أصل البناء[2]

اصطلاحاً: والمراد بالتأسيس :حمل الزيادة في اللفظ على زيادة المعنى[3].

2. **معنى التوكيد: لغة:** أكد الهمزة والكاف والدال ليست أصلاً، لأن الهمزة مبدلة من واو، يقال :وكدت العقد[4]، والتأكيد: لغة في التوكيد. وقد أكدت الشيء ووكدته[5]، والواو أفصح[6].

اصطلاحاً: حمل الزيادة على تأكيد المعنى السابق [7]، **وهو إما معنوي كقولك:**

جاء القوم كلهم أجمعون، أو لفظي وهو :إعادة اللفظ الأول بعينه[8].

المبحث الثالث: استخدامات المفسرين لهذه القاعدة في تفسيراتهم

ذهب بعض العلماء إلى أن التكرار[1] للتوكيد، ومن عادة العرب في بعض الأحيان استعمال التكرار من أجل إفادة التوكيد[2]، ولكن حمله على المعنيين أكثر فائدة من

1 الكليات، الكفوي: 742.

2 ينظر: العين، الفراهيدي: 334/7؛ تهذيب اللغة، ابن فارس: 96/13؛ لسان العرب، ابن منظور: 6/6.

3 أصول الفقه، عياض السلمي: 442.

4 تهذيب اللغة، ابن فارس:125/1.

5 الصحاح، الجوهري: 442/2.

6 مختار الصحاح، الرازي: 19.

7 أصول الفقه، عياض السلمي: 442.

8 التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الإسنوي:167.

حمله على معنى واحد وكان أولى قياساً على الحمل على التأسيس، فإن اللفظ إذا دار بين أن يفيد فائدة التأسيس، وبين أن يفيد التأكيد كان الحمل على التأسيس أولى، والجامع زيادة الفائدة[3]. وقد استعمل المفسرون هذه القاعدة، واعتمدوها عند الترجيح بألفاظ متعددة ومتقاربة وتُصب في معنى واحد ومن هؤلاء المفسرين:

1. **قال الزمخشري**[4]: وهذا أظهر لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فحمله على الثاني أولى[5].
2. **وقال أبو حيان**[6]: إذا أراد الأمرين :التأسيس والتأكيد، كان حمله على التأسيس هو الأولى، ولا يذهب إلى التأكيد إلا عند اتضاح عدم التأسيس[7].
3. **السمين الحلبي**[8] حيث استعمل هذه القاعدة للترجيح بين الأقوال فقال في كتابه الدر المصون: هذا أظهر لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فحمله على الثاني أولى[1].

---

[1] التكرار :عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى (التعريفات، الجرجاني: 65)

2 تفسير القرآن، محمد المقدم: 17/149.

3 نهاية الوصول في دراية الأصول، الصفي الهندي: 850/5.

4 الزمخشري: محمود بن عمر بن محمَّد؛ أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب بجار الله، لأنَّه جاور بمكة زماناً، له الكشاف، الفائق، أساس البلاغة وغيرها مات سنة 538 هـ، (طبقات المفسرين للسيوطي: 104؛ طبقات المفسرين للداوودي: 314/2؛ التفسير والمفسرون: 304/1).

5 الكشاف، الزمخشري؛ الدر المصون، السمين الحلبي:437/6؛ اللباب، ابن عادل:12/11.

6 أبو حيان: الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر، بل المد توفي سنة427هـ (الوافي بالوفيات، الصفدي:177/5؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي: 279؛ الأعلام، الزركلي:152/7)

7 البحر المحيط: 83/4.

8 أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي النَّحوي المعروف بالسمين، العلامة شهاب الدين أبو العبَّاس الحلبي

=

4. **وقال بدر الدين الزركشي**[2]: الترادف خلاف الأصل فإذا دار اللفظ بين كونه مترادفاً أو متبايناً فحمله على المتباين أولى، لأن القصد الإفهام فمتى حصل بالواحد لم يحتج إلى الأكثر، لئلا يلزم تعريف المعرف، ولأنه يوجب المشقة في حفظ تلك الألفاظ[3].
5. **وقال ابن عرفة**[4]: إذ لو كان التتابع مفهوماً من لفظ الشهر، لما احتيج إلى تقييده بالتتابع، ولكان وصفه بذلك تأكيد مع أن الأصل التأسيس[5].
6. **وقال ابن عثيمين**[1] في هذه القاعدة وترجيحه بها للأقوال التفسيرية: معلوم أنه إذا دار الكلام بين أن يكون توكيداً وأن يكون تأسيساً فالأصل

ثم المصري النَّحوي المقرئ الفقيه ، قرأ النَّحو على أبي حيَّان ، وصنَّف تصانيف حسنة منها: تفسير القرآن ، وإعراب القرآن سمَّاه الدّر المصون ؛ ومادته فيه من تفسير شيخه أبي حيَّان إلا أنَّه زاد عليه ، وناقشه في مواضع مناقشة حسنة ، وأحكام القرآن ، وشرح التسهيل شرحاً مختصراً من شرح أبي حيَّان ، وشرح الشاطبية ، توفي سنة 756 هـ بالقاهرة (ينظر: طبقات الشافعية ، ابن شهبة: 19/3 ؛ الدرر الكامنة: 339/1 ؛ بغية الوعاة، السيوطي: 402/1؛ طبقات المفسرين؛ الأدنه وي: 287/1) .

1 الدر المصون: 437/6.

2 الزركشي: هو محمَّد بن بَهَادُر بن عبد الله، التركي الأصل، المصري المولد والوفاة، الشيخ بدر الدين أبو عبد الله الشافعي الزركشي، يعد من العلماء الأصوليين في فقه الشافعية، وأديباً فاضلاً، ومصنّفاً محرراً في عدة فنون، له البحر المحيط في الأصول، والبرهان في علوم القرآن، وغيرها كثير مات سنة 794 هـ، (شذرات الذهب: 335/6؛ تاريخ ابن الفرات: 326/9؛ تاريخ الأدب العربي: 108/2).

3 البحر المحيط، الزركشي: 360/2.

4 ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، مقرىء، فقيه، اصولي بياني، منطقي، متكلم، وتولى امامة الجامع الاعظم، وتوفي بتونس في ٢٤ جمادى الآخرة .من تآليف: المبسوط في الفقه المالكي في سبعة أسفار، منظومة في قراءة يعقوب، مختصر الفرائض توفي سنة ٨٠٣هـ. (معجم المؤلفين، عمر كحالة:285/11؛ الأعلام، الزركلي:43/7)

5 تفسير ابن عرفة: 179/4.

التأسيس لأن الأصل عدم التوكيد لأن التوكيد تكرار والأصل عدم التكرار، ولينتبه للفرق في تعبير العلماء – رحمه الله –، فالفرق بين التوكيد والتأسيس أن التوكيد معناه أن هذا هو الأول، والتأسيس معناه أن هذا غير الأول وأنه كلام مستقل.[2]

وقال في موضع آخر: أنه إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد حمل على التأسيس[3].

7. **وقال الشنقيطي**[4]: إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه[5].
8. **وقال صديق حسن خان**[6]: لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس فحمله على الثاني أولى[7].

---

1 ابن عثيمين :أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد العثيمين، فقيه ومفسر ولغوي وأصولي سلفي حنبلي، له مؤلفات عديدة تميزت بتحرير المسائل وسهولة العبارة وتقريب المعاني، من شيوخه :ابن باز والسعدي ومحمد الأمين الشنقيطي، توفي ١٤٢١ هـ (الوفيات والأحداث: 217، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مجموعة من المؤلفين:2118/3)

2 تفسير العثيمين: 312.

3 تفسير العثيمين: 415/1.

4 الْشَنْقِيطي: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الجكني الْشَنْقِيطي، مفسر مدرس من علماء شنقيط، من آثاره أضواء البيان في تفسير القرآن، منع جواز المجاز ألفية في المنطق، مات سنة 1393 هـ، (معجم المؤلفين: 3/ 146).

5 أضواء البيان:755/6.

6 من رجال الإصلاح الإسلامي. ولد في بلدة قنوج بالهند، وبها نشأ وتعلم، وانتقل إلى "دهلي "فأخذ عن علمائها، أبو الطيب :من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندسية توفي سنة 1307هـ (الأعلام، الزركلي:168/6؛ معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض: 539/2)

7 فتح البيان في مقاصد القرآن:288/6.

الفصل الثاني:

صور قاعدة (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى):

يقع التكرار في الكلام ويحمل على التأسيس على أشكال متعددة وبصور متنوعة وهذا يظهر من خلال الآيات القرآنية، فقد يأتي التكرار بين لفظين مكررين لهما نفس الأحرف والوزن والمعنى ولكن من خلال تتبع أقوال العلماء واجتهاداتهم يظهر لهما معنيان مختلفان، وإما أن يكون التكرار بين لفظين مترادفين، وقد يتوهم القارئ أنهما بمعنى واحدة لوقوع حرف عطف البيان بين اللفظين، وأيضاً من خلال تتبع أقوال المفسرين يظهر استقلال كل لفظة بمعنى، وقد يأتي على غيرها من الصور المذكورة، ونحن في هذا الفصل سنقوم باستعراض ما توصلنا إليه من الصور والتي تحدث عنها المفسرون في كتبهم ، وأيدوا فيها المعنى الجديد للفظة المكررة، ومالوا إلى قاعدة إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى؛ ومما يحسن التنبيه عليه أن ذكر المثال الواحد في مبحث ما لا يعني انعدام غيره، وإنما هو من باب التوضيح، ويأتي التكرار على النحو التالي:

المبحث الأول:

1. الألفاظ مترادفة في الظاهر متغايرة في المعنى.

وتندرج قاعدة فرعية وهي حمل ألفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف تحت القاعدة الرئيسية **إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى**، وذلك لأن الكلام إذا كان لفظة واحدة حينها يقع الترادف، وذلك لأن الترادف لا يقع إلا في الكلمة الواحدة.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً** ﴾ [سورة النساء:29].

اختلف المفسرون في الواو هنا وهل هي بمعنى التأكيد أم التأسيس.

القائلون بالتأكيد:

يرى بعض المفسرين[1] الواو في قوله: ﴿ **عُدْوَانًا وَظُلْماً** ﴾إنها من باب المرادفات أي عطف المرادف على مرادفه، والترادف هو: توالي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد مثل " :البر والقمح" ، و "جلس وقعد"[2] ، والترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فيرى ابن تيمية أنه إما نادر وإما معدوم، وقلَّ إن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن[3].

القائلون بالتأسيس:

أورد معنى الظلم والعدوان بمعنيين متباينين كل من الطبري والزجاج والبغوي والنسفي[4]

قال ابن عثيمين في ﴿ **عُدْوَاناً وَظُلْماً** ﴾:بينهما فرق؛ فالعدوان ما فعل عن قصد، والظلم يعود إلى نفس الفاعل، فهو إذا خالف أو فعل ما ذكر من المناهي فقد

1 ينظر: النكت والعيون، الماوردي: 475/1؛ زاد المسير، ابن الجوزي:396/1؛ نظم الدرر، البقاعي: 260/5؛ تفسير العثيمين، ابن عثيمين:260/1.

2 المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم النملة: 1121/3.

3 مقدمة التفسير، ابن تيمية:

4 ينظر: جامع البيان، الطبري: 640/6؛ معاني القرآن، الزجاج:44/2؛ تفسير القرآن، السمعاني: 419/1؛ معالم التنزيل، البغوي: 604/1؛ التيسير في التفسير، النسفي: 519/4.

اعتدى على غيره فأكل ماله، واعتدى على غيره فقتله، وظلم نفسه، فيكون عدواناً باعتبار الغير، وظلماً باعتبار النفس. والثاني أصح لا شك؛ لأن حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على الترادف؛ لأنك إذا جعلتهما مترادفتين صار ذلك تكراراً، لكن إذا قلت هذه لها معنى وهذه لها معنى فإذا هو الأصل[1].

وقال النسفي: العدوان :مجاوزة حد الأمر، والظلم :الجور[2].

أثر المعنى بعد الترجيح: قال الطبري: "ومن يفعل ذلك عدواناً أي تجاوزاً لما أباح الله له إلى ما حرمه عليه، و(ظلماً) يعني " :فعلا منه ذلك بغير ما أذن الله به، وركوباً منه ما قد نهاه الله عنه، فسوف نورده نارا يصلى بها فيحترق فيها"[3]

المبحث الثاني:

2. تكرار اللفظ ظاهراً واختلاف المعنى:

المثال الأول:

- قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** ﴾ [سورة الروم:49].
- **القائلون بالتأكيد:**

في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِهِ ﴾ اختلف فيها أهل العلم فقال بعضهم كالأخفش، وابن أبي زمنين، والسمعاني والنسفي[4] إن التكرار هنا للتوكيد كقوله تعالى:﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ**

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين:260/1.

2 التيسير في التفسير، النسفي: 519/4.

3 جامع البيان، الطبري: 640/6.

4 معاني القرآن، الأخفش: 476/2؛ تفسير القرآن، ابن أبي زمنين: 368/3؛ تفسير القرآن، السمعاني:

=

الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران:188]، كرر الفعل توكيداً، وعليه أكثر المفسرين أن قوله ﴿مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل أن ينزل عليهم قال: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم، من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين، فيكون تكرارها للتوكيد.

القائلون بالتأسيس:

أورد الطبري والسمعاني وابن عثيمين[1] إنها كررت للتأسيس لا للتوكيد، وقال ابن عثيمين: "ومعلوم أنه إذا دار الكلام بين أن يكون توكيداً وأن يكون تأسيساً فالأصل التأسيس لأن الأصل عدم التوكيد لأن التوكيد تكرار والأصل عدم التكرار، ولينتبه للفرق في تعبير العلماء – رحمه الله –، فالفرق بين التوكيد والتأسيس أن التوكيد معناه أن هذا هو الأول، والتأسيس معناه أن هذا غير الأول وأنه كلام مستقل"[2].

أثر الترجيح على المعنى: قال ابن الأنباري[3]: والمعنى من قبل نزول المطر، من قبل المطر، وهذا مثلما يقول القائل: آتيك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمئن في

220/4؛ مدارك التنزيل، النسفي: 705/2.

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري: 521/18؛ تفسير القرآن، السمعاني: 220/4

[2] تفسير العثيمين: 312.

[3] أبو بكر بن الأنباري: مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد بن دعامة أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي الأديب، وأكثرهم حفظاً للغة ، وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً فاضلاً أديباً ثقةً خيراً من أهل السنَّة حسن الطريقة، توفي سنة 328 هـ (معجم الأدباء : 410/5 ؛ وفيات الأعيان : 341/4 ؛ معجم المؤلفين : 597/3) .

مجلسك. فلا تنكر عليه الإعادة، لاختلاف الشيئين"[1]. وقيل :الأولى ترجع إلى إنزال المطر، والثانية إلى إنشاء السحاب[2]،

المثال الثاني:

- **قال تعالى:** ﴿ إِذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ رَأَيتُهُم لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:4]

القائلون بالتوكيد:

ذهب الأخفش والزجاج وأبو حيان إلى أن التكرار في قوله:﴿ رأيتهم لي ساجدين﴾ قالوا يحتمل: أنها جملة كررت للتوكيد؛ لما طال الفصل بالمفاعيل وهو قوله ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ وكرر الفعل(رأيتهم) وقد يستغني بأحدهما. وهذا على لغة الذين قالوا "ضربت زيداً ضربته "وهو توكيد مثل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)[3].

القائلون بالتأسيس:

واختار البعض ومنهم الزمخشري وابن عادل والسمين الحلبي عند تفسيرهم لهذه الآية أن قوله تعالى:﴿ رأيتهم لي ساجدين﴾ ليس تكرار ولا للتوكيد وإنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ قال

1 ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي: ٦ / ٣٠٩؛ جامع البيان، الطبري: ٢١ / ٥٤، وكلاهما نسباه للأنباري.

2 ينظر: معالم التنزيل، البغوي: 276/6.

3 معاني القرآن، الأخفش:394/1؛ معاني القرآن، الزجاج:91/3؛ البجر المحيط، أبو حيان: 238/6.

الزمخشري: وهذا أظهر لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فحمله على الثاني أولى[1].

المعنى بعد حمل الكلام على التأسيس:

كأن يعقوب عليه السلام حين حكى ابنه يوسف عليهم السلام رؤياه وسجود الكواكب له قال له كيف رأيت هذه الكواكب؟ سائلاً عن حال رؤيتها، فقال :رأيتهم لي ساجدين.

قال النسفي: كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين[2].

3. المبحث الثالث: اختلاف لفظ التكرار مع اختلاف المعنى.

وقال الله تعالى:﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل:97].

اختلف العلماء في هذه الآية في معنى يعصرون وهل هو تكرار للتوكيد أو هو لإضافة معنى جديد.

القائلون بالتوكيد:

ذهب أبو عبيدة[3]إلى التأكيد فقال: "أي: به ينجون، وهو من العصر، وهي العصرة أيضاً، وهي المنجاة، ثم قال :ولقد كان عصرة المنجود أي :المقهور والمغلوب."1

1 الكشاف، الزمخشري؛ الدر المصون، السمين الحلبي:437/6؛ اللباب، ابن عادل:12/11.

2 مدارك التنزيل:95/2.

3 أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، الإمام العلامة البحر صاحب التصانيف منها: مجاز

=

القائلون بالتأسيس:

ذكر المفسرون من السلف مثل ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي معنى آخر ليعصرون حيث فسروه على معنى العصر؛ أي :عصر العنب وغيره.[2]

والراجح قول السلف رجحه قاعدتين أساسيتين هما:

قول السلف مقدم على كل قول.

قال الطبري:" وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: ﴿ وفيه يعصرون ﴾ إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر والعصرة التي بمعنى المنجاة ... وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه، خلافه قول أهل العلم من الصحابة والتابعين"[3]

وتؤيده قاعدة إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على الاسيس أولى، وقد أورد المفسرون ورجحوا بهذه القاعدة في ثنايا تفسيرهم لهذه الآية حيث قالوا: ثم إن في قوله تعالى : ﴿فيه يغاث الناس﴾ إشارة إلى هذا المعنى الذي ذكره أبو عبيدة ومن ثم، يكون تفسيره من باب تأكيد

القرآن، غريب الحديث، مات سنة 209 هـ، وقيل غير ذلك ، (معجم الأدباء: 160/19 ؛ سير أعلام النبلاء : 287/8).

1 مجاز القرآن: 313/1.

2 ينظر: تفسير عبد الرزاق :217/2؛ جامع البيان، الطبري: 194/13؛ تفسير القرآن، ابن أبي حاتم: 154/7.

3 جامع البيان: 197/13.

المعنى، وقول السلف فيه تأسيس معنى آخر، وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد، فالتأسيس أولى من التأكيد، وهو مقدم عليه، والله أعلم.

4. المبحث الرابع: التكرار في جملتين وتغايرهما في المعنى.

﴿مَن عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤمِن فَلَنُحيِيَنَّهُۥ حَيَوٰة طَيِّبَة وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ ﴾ [النحل:97]

القائلون بالتوكيد:

ذهب مجموعة من المفسرين إلى تفسير قول الله تعالى: (فَلَنُحيِيَنَّهُۥ حَيَوٰة طَيِّبَة) إلى معنى للعلماء في المراد بالحياة الطيبة قولان الأول: أنها في الآخرة، بدخول الجنة، وهو مؤكد لقوله في آخر الآية: ﴿ وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ ﴾ وهو قول الحسن البصري[1] وقتادة[2] ، ومجاهد[3] وابن زيد[4] والزجاج [5]وغيرهم، قال الحسن (فَلَنُحيِيَنَّهُۥحَيَوٰة طَيِّبَة) قال: ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة.

وقال مجاهد: (فَلَنُحيِيَنَّهُۥحَيَوٰة طَيِّبَة) الآخرة يحييهم حياة طيبة في الآخرة.

وقال ابن زيد: الحياة الطيبة في الآخرة: هي الجنة، تلك الحياة الطيبة.

وقال قتادة: إن الله لا يشاء عملاً إلا في إخلاص، ويوجب عمل ذلك في إيمان، قال الله تعالى: (فَلَنُحيِيَنَّهُۥحَيَوٰة طَيِّبَة) وهي الجنة.

---

[1] جامع البيان، الطبري: 291/17.

[2] جامع البيان، الطبري: 291/17.

3 جامع البيان، الطبري: 291/17.

4 جامع البيان، الطبري: 291/17.

5 معاني القرآن وإعرابه: 218/3.

القائلون بالتأسيس:

والثاني :ذهب إليه المفسرون منهم: ابن عباس[1] ﷺ، والضحاك[2] وهو تفسير الحياة الطيبة إلى أنها في الدنيا وهو معنى مغاير لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه : يعني في الدنيا[3]، وقال الضحاك: الرزق الطيب الحلال[4]، وقال الحسن البصري، قال :الحياة الطيبة: القناعة[5].

ذهب الإمام الشنقيطي إلى التأسيس عند تفسيره لهذه الآية فقال: إن قوله ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ليس تكراراً للحياة الطيبة وإنما المعنى﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ في الدنيا ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ في الآخرة ثم قال: وقد تقرر في الأصول :أنه إذا دار الكلام بين التوكيد والتأسيس رجح حمله على التأسيس.[6]

المعنى بعد حمل الكلام على التأسيس:

من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فسوف نحييه حياة طيبة في الدنيا وفي الآخرة.

1 جامع البيان، الطبري: 290/17.

2 جامع البيان، الطبري: 290/17.

3 المرجع السابق.

4 المرجع السابق.

5 جامع البيان، الطبري: 290/17.

6 أضواء البيان، الشنقيطي: 442/2.

وقد وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 148] وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فظاهر وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عما سوى الله

5. المبحث الخامس: الألفاظ متوالية في الجملة ومتغايرة في المعنى:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذنِهِۦ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ [الأحزاب:46]

القائلون بالتوكيد:

ذهب الزجاج[1] والثعلبي[2] ومكي بن أبي طالب[3] إلى أن معناهما واحد والتكرار للتوكيد،

قال الثعلبي:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذنِهِۦ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ يستضيء به أهل الدين.

وقال مكي: أي: مضيئاً للخلق يبين لهم أمر دينهم ويهتدون به كما يهتدى بالسرج المضيء[4]

القائلون بالتأسيس:

[1] معاني القرآن وإعرابه:231/4.

2 الكشف والبيان: 480/21.

3 الهداية إلى بلوغ النهاية: 9م849.

4 المرجع السابق.

ذهب إلى التأسيس الطبري، والقرطبي[1]، وأبو السعود[2]، ووهبة الزحيلي[3]، وابن العثيمين[4]

قال الطبري: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده، (منيرا) يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره. وإنما يعني بذلك، أنه يهدي به من اتبعه من أمته"[5].

وقال القرطبي: "وسراجاً "أي هادياً من ظلم الضلالة، وأنت كالمصباح المضي. ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضئ، إذا قل سليطه ودقت فتيلته ."[6]

وقال ابن العثيمين في تفسير هذه الآية: أي مثله في الاهتداء به سراجا، والسراج ما يستضاء به، ووصفه بأنه ﴿منيرا﴾إما لبيان الواقع، لأن كل سراج فله إنارة؛ وإما لبيان أن هذا السراج كان له إضاءة قوية فهو منير لما حوله، وهذا هو الأقرب؛ لأن عندنا من القواعد المقررة أنه إذا دار الأمر بين أن يكون الكلام تأسيسا أو توكيداً فالأصل أنه تأسيس، لأن التأسيس فيه زيادة معنى، بخلاف التوكيد، التوكيد ليس فيه إلا التقوية، لكن التأسيس فيه زيادة معنى، وعلى هذا فالأظهر أن هذا وصف للسراج باعتبار قوته وإضاءته، ولا شك أن النبي –صلى الله عليه وسلم– علم يهتدى به في

1 الجامع لأحكام القرآن: 21/14.

2 إرشاد العقل السليم: 108/7.

3 التفسير المنير، الزحيلي:49/22.

4 تفسير العثيمين: 341.

5 جامع البيان: 126/19.

6 الجامع لأحكام القرآن: 21/14.

الظلمات، فهو قد فتح للناس نور العلم ونور الإيمان حتى ترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها.[1]

المعنى بعد حمل الكلام على التأسيس:

أي وداعياً الخلق إلى عبادة ربهم، وطاعته ومراقبته سراً وعلانية، بأمره إياه، والإقرار به، والإيمان بما يجب له من صفات الكمال، وجعلناك ذا سراج أو كالسراج الوضاء الذي يستضاء به في الظلمات، ليهتدي بك الناس، ويستنيروا بشرعك في تحقيق سعادتي الدنيا والآخرة، ووصف السراج بالإنارة؛ لأن بعض السرج لا يضيء لضعفه ودقة فتيلته[2]

6. المبحث السادس: اتفاق الكلمات معنى في الظاهر واختلافها لفظاً:

قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [آل عمران:148]

القائلون بالتوكيد:

ذهب الأخفش[3] والزجاج[4] والنسفي[5] وأبو حيان إلى أن قوله:﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ توكيد[1].

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين: 341.

2 التفسير المنير، الزحيلي:49/22.

3 معاني القرآن ، النحاس: 385/1؛

4 معاني القرآن وإعرابه: 473/1

5 التيسير في التفسير:294/4.

قال الأخفش: توكيداً كما تقول" :قد رأيته والله بعيني "و"رأيته عياناً"[2] .

القائلون بالتأسيس:

ذهب ابن الأنباري[3] وأبو جعفر النحاس[4] ، والسمين الحلبي[5] إلى التأسيس وإضافة معنى جديد، قال النحاس: وحقيقة هذا القول فقد رأيتموه حقيقة وأنتم بصراء متيقنون، وقال ابن الأنباري: "إن معنى رأيتموه قابلتموه وأنتم تنظرون بعيونكم، ولهذه العلة ذكر النظر بعد الرؤية حين اختلف معناهما، لأن الأول بمعنى المقابلة والمواجهة والثاني بمعنى رؤية العين"[6].

ويكون إذ ذاك، وأنتم تنظرون جملة في موضع الحال المبينة لا المؤكدة.

قال ابن العثيمين عند تفسير ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ هل هي مؤكدة أو مؤسسة؟ لأن الإنسان قد يرى، ولكن لا يحقق ما يرى، قد يرى الشيء وهو غافل عنه لكن إذا رآه وهو ينظر إليه تماماً قد ركز، فهذا نظر خاص أخص من النظر العام. نحملها

---

1 ينظر: معاني القرآن ، النحاس: 385/1؛ معاني القرآن، الزجاج: 473/1.

2 معاني القرآن:234/1.

3 ينظر: البحر المحيط: 362/3؛ الدر المصون، السمين الحلبي: 413/3.

4 معاني القرآن: 385/1

5 الدر المصون: 413/3.

6 البحر المحيط: 362/3.

على ذلك؛ لأن الأصل في الكلام التأسيس؛ لأن التوكيد نوع زيادة ليس فيه إلا توكيد ما مضى، وقد لا يحتاج إليه لكن التأسيس هو الأصل[1].

المعنى بعد حمل الكلام على التأسيس:

كنتم قد تمنيتم الموت فقد رأيتموه رأي العين وشاهدتموه بأبصاركم ، فوقع ما توقعتم، وقوله تعالى) :وأنتم تنظرون (تأكيد لحال الرؤية أو تصوير لرؤيتهم؛ لأن الجملة حالية والتعبير بالمضارع يفيد التصوير، وإحضار الصورة الواقعة في الماضي كأنها واقعة في الحاضر، فيستحضرها العقل كما وقعت، وكما ظهرت في الوجود، والنظر الذي قرره سبحانه بقوله تعالى) :وأنتم تنظرون (يتضمن النظر إلى الموقعة كلها، وكيف كان الانتصار في ابتداء الأمر عند الطاعة، ثم كيف كان الانهزام عند المخالفة إرادة عرض الدنيا من بعضهم كما قال تعالى﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ﴾[2]

7. المبحث السابع: عطف جملة فعلية على جملة فعلية:

قال تعالى:﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:١]

القائلون بالتوكيد:

اختلف العلماء في و﴿ وَصَدُّوا﴾ هنا باعتبار انها للتوكيد، فعلى هذا عدوا ﴿ وَصَدُّوا ﴾لازمة فمعنى الصدود الكفر، فتكون كالتوكيد لقوله﴿ كَفَرُوا ﴾.

القائلون بالتأسيس:

1 تفسير العثيمين، ابن عثيمين:235/2.

2 زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة:430/3.

وعد القائلون بالتأسيس أن ﴿ وَصَدُّوا﴾ متعدية فيكون المعنى: حملوا غيرهم على الكفر وصدوه عن الحق، وذهب إلى ذلك مجاهد والسدي[1] الطبري[2]، ومكي بن أبي طالب[3]، والنسفي[4]،والشوكاني[5]، والإمام الشنقيطي إلى أنها للتأسيس فقال: الظاهر أن ﴿ وَصَدُّوا﴾ في هذه الآية متعدية، والمفعول محذوف، أي كفروا وصدوا غيرهم عن سبيل الله، فهم ضالون مضلون.

فالصد له معنيان: الأول: أن الصد بمعنى الإعراض، كما تقول مثلاً كلمته فصد عني، يعني :فأعرض عني، فالفعل هنا لازم غير متعد، له فاعل فقط وليس له مفعول.

الثاني :إذا كان الفعل متعدياً فيكون بمعنى الصد عن سبيل الله، كالكافر الذي يشنع على الإسلام أو ينفر الناس منه فهو يصد عن سبيل الله.، إذاً فقوله تعالى:﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ [محمد:١]يحتمل أن يكون الصدود بمعنى الإعراض فيكون هنا تكراراً؛ لأن كلمة ﴿ كَفَرُوا ﴾هي بمعنى أعرضوا وكذبوا، فعلى هذا يكون هذا للتوكيد، وتأتي بمعنى كفروا في ذواتهم وصدوا غيرهم، فهم ضالون قد أضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم، هذا على أن الفعل متعد إذاً مادام اللفظ محتملاً التأكيد ففي هذه الحالة يترجح حمله على التأسيس.

المعنى بعد حمل الكلام على التأسيس:

[1] ينظر: فتح القدير، الشوكاني: 35/5.
[2] جامع البيان: 225/21.
[3] الهداية إلى بلوغ النهاية:877/11.
[4] التيسير في التفسير: 408/13.
[5] فتح القدير: 35/5.

الذين جحدوا توحيد الله وآياته، وعبدوا غيره، وصدوا غيره عن الإسلام، بنهيهم عن الدخول فيه، وهم كفار قريش، أبطل الله ثواب أعمالهم وأحبطها وضيعها، ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاء في الآخرة[1].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، تم الانتهاء من هذا البحث الموسوم بـ (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى) وأثرها في المعنى ".

وقد ظهر لي من هذا البحث ما يلي:

1. مدى عناية العلماء باستعمال القاعدة الترجيحية للترجيح بين الأقوال.
2. لم يستعمل السلف القواعد الترجيحية بنصِّها، ولكن إشارة إليها.
3. اهتمام بعض المفسرين بتقرير قاعدة إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد وترجيح الأقوال بها.
4. يقع التكرار في الجملة ويحمل على التأسيس في صور متعددة.

وأوصي من خلال هذا البحث التوسع في هذه القاعدة، واستعمالات المفسرين لهذه القاعدة وأقوالهم فيها وما بحثي هذا إلا لتسليط الضوء على هذه القاعدة، وإبراز أهميتها

وأخيراً فهذه بعض النتائج التي أعانني الله على استخلاصها من هذا البحث، وأسال الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به

[1] التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي:430/3.

في الدنيا والآخرة، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على التمام، والشكر والثناء التامين على ما يسر وأعان، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام.